منهج الشيخ ابن عثيمين
في
دراسة العقيدة السلفية الصحيحة

إعداد

الباحث: **بوعبيد الازدهار**

جامعة السلطان مولاي سليمان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بني ملال/ المملكة المغربية

بحث محكم مقدم لـ:

ندوة جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية

1004 Blank

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله، حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين والمرسلين ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ـ وعلى سائر أنبياء الله ورسله الطيبين الطاهرين، رضي الله عنهم أجمعين.

إن العقيدة هي جوهر الإسلام وأصله الذي يقوم عليه، والشريعة مبنية على العقيدة الصحيحة الخالصة النقية لله رب العالمين، ومن طَبَّق شرائع الله • وأضاع العقيدة فهو كالسائر بغير هدى. فعلى قدر سلامة العقيدة وقوتها، تكون الاستقامة والعزة في حياة المسلمين، إذ إن الفهم الصحيح للعقيدة والاستقامة عليها، هي الأصل في سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

ومنهج الشيخ العثيمين في دراسة العقيدة ـ قيد الدراسة والتحليل ـ يعد بحق لبنة من لبنات ترسيخ صرح البناء العقدي لأمة الإسلام والحفاظ عليه من كيد المكيدين ودعاوى المغرضين في وقتنا المعاصر، فقد أبلى ـ رحمة الله عليه ـ البلاء الحسن من خلال جهوده العلمية والمنهجية المتواصلة والجادة في دراسة العقيدة وترسيخها في الوسط الطلابي والعامي، فقد كان نموذجاً جديراً بأن يقتدى به، لمن أراد الانخراط في تصحيح العقيدة والدفاع عنها من الزيغ والانحراف، حتى تبقى نقية صافية لما كان عليه سلفنا الصالح، رحمة الله عليهم جميعاً.

١ ـ أهداف البحث:

نسعى من خلال هذه الدراسة التعريف بعَلَم من أعلام هذه الأمة الذي وقف سداً منيعاً ضد كل التيارات الهدامة، والإغراءات الفكرية السامة، التي تبغي ضرب

كياننا العقدي، والتشويش على معتقدات أبناء الإسلام. كما نروم من خلالها، التعرف على الجوانب العلمية والمداخل المنهجية التي اعتمدها فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين في تقريب حقيقة العقيدة عند العامة والخاصة من أبناء هذه الأمة، وآليات توظيفها في صيانة وحماية العقيدة السلفية من الانحراف. ومحاولة إعادة صياغة السلفية وتنقيتها من الشعارات الزائفة والمظاهر الكاذبة التي علقت بها، وتبيان حقيقتها كاتجاه عقدي، لما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام البررة.

٢ـ منهجيـة البحـث:

اعتمدت في مقاربة إشكالات وقضايا هذه الدراسة على جملة من الخطوات المنهجية، والتي يمكن اختزالها في الآتي:

أ ـ اعتماد أساس منهجي وصفي تقريري: لواقع المسلمين، وما يعيشونه من تشتت طائفي وتشويه عقدي، وغياب وعي حقيقي بخطورة الانزلاق وراء الدعوات المغرضة، وكذا بيان قوة فاعلية وحركية سلفنا الصالح وجهودهم في إحياء السنة، وإماتة البدعة عبر التاريخ، من خلاله إنتاجاتهم العلمية التي زخرت بها المكتبات الإسلامية، ورصد سبل إتباع منهجهم في الحفاظ على العقيدة، سليمة صافية نقية مما علق بها من الشوائب.

ب ـ التركيز على الأساس المنهجي التحليلي: في دراسة المادة العلمية المتعلقة بجهود فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ومقارباته الواقعية في تحصين معتقدات أهل السنة والجماعة بين أبناء الأمة الإسلامية، والعودة بهم إلى منابع العقيدة الصافية، وبيان قدرته الاستدلالية على القضايا العقدية باستدعاء أدلة العقل والنقل والواقع في نسق تكاملي لتثبيت أصول العقيدة السلفية الصحيحة، ودفع زيغ الزائغين وتأويلات الضالين.

ج ـ إلتزمت عند النقل من المراجع والاستفادة منها؛ الإشارة إلى مؤلفها، وإلى

رقم جزئها وصفحتها، بالإضافة إلى ذكر المحققين أو الطبعات لهذه المراجع.

د ـ حرصت على الرجوع إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة من المسائل التي وردت في الدراسة.

هـ ـ أحلت على الآيات القرآنية، بذكر موضعها في السورة ورقم الآية.

و ـ اقتصرت على ذكر اسم الكتاب والمؤلف، إذا تكرر ذلك المرجع كثيراً، مختصرا في عبارة [المرجع السابق].

ز ـ عَزوت الأحاديث التي تم استدعاءها في الدراسة إلى مصادرها من كتب السنة المعتمدة، بذكر الكتاب والباب، والجزء والصفحة ورقم الحديث مع الإشارة في بعض الأحيان إلى درجة الحديث من خلال أقوال المحدثين إذا كان الحديث في غير الصحيحين أو أحدهما.

ح ـ قمت بوضع فهرس علمي لموضوعات الدراسة، بَيَّنت فيه فصولها ومباحثها من غير تفصيل للفروع والجزئيات ـ إلتزاماً بتوصيات اللجنة، وكذا فهرس المصادر والمراجع المعتمدة ـ مرتباً حسب الحروف الهجائية ـ يُعين على الرجوع إلى المراد بِيُسر وسهولة.

٣ ـ خطـــة البحـــث:

وللإحاطة بالقضايا المنهجية والعلمية التي ركز عليها الشيخ محمد بن صالح العثيمين في ترسيخ العقيدة السلفية والدفاع عنها، اعتمدت خطة بحثية تضمنت مقدمة، وثلاثة فصول، ثم خاتمة؛ جاءت على النحو الآتي:

فأما **المقدمة** فقد تناولت فيها مدخلاً عاماً للدراسة، وأهداف البحث، وخطة البحث، ثم المنهجية التي اتبعتها فيه.

الفصل الأول: خُصِّصَ لدراسة المفاهيم: «العقيدة»، و «السلف»، و «السلفية» على أنها مفاهيم موجهة ومحورية للدراسة، وقد بَيَّنت معانيها اللغوية والاصطلاحية،

وذلك من خلال مبحثين ومطلبين.

الفصل الثاني: قسمته إلى ثلاثة مباحث، بَيَّنت فيها أهمية دراسة العقيدة السلفية الصحيحة، وجهود علمائنا الجهابذة من سلف هذه الأمة في خدمة عقيدة أهل السنة والجماعة، والرد على كل من سولت له نفسه المساس بالعقيدة السليمة، كما بينت البلاء الحسن الذي أبلاه الشيخ الجليل ابن العثيمين، وآثاره العلمية في ترسيخ العقيدة الصحيحة وحمايتها من الانحراف.

الفصل الثالث: اقتصرت فيه على بعض المداخل العلمية والمنطلقات المنهجية التي وظفها الشيخ ابن العثيمين في دراسة العقيدة السلفية وترسيخها في صفوف العامة والخاصة من أبناء أمتنا الإسلامية، مع الإشارة إلى بعض خصائص وسمات منهجه ـ رحمة الله عليه، وقد قسمت هذا الفصل إلى مباحث ومطالب، ركزت في المبحث الأول على الأسس والمنطلقات العلمية، لخصتها في أربعة؛ وهي: أساس فهم الواقع والتعرف على مشكلاته، وأساس الاتباع والاقتداء بما كان عليه رسول الله، وصحابته البررة الكرام من التزام بالوسطية في الدين، ثم اعتماد المنهج التكاملي في تثبيت وترسيخ العقيدة الصحيحة، وكذلك أساس التثبت من صحة الأحاديث في إثبات العقيدة. وفي المبحث الثاني ذكرت بعض الأسس والمنطلقات المنهجية، مُركِّزا على الأساسيين المنهجيين؛ النقلي والعقلي، لما لهما من حضور كبير في التدليل بهما على القضايا العقدية التي ناقشها الشيخ ابن العثيمين.

وقد أتبعت هذا الفصل بخاتمة تجمع بين أهم نتائج وخلاصات البحث، والتوصيات والمقترحات لترسيخ الفكر السلفي في وقتنا المعاصر، وتنقيته مما علق به من الشعارات الزائفة والمظاهر الكاذبة، وتبيان حقيقته باعتباره اتجاهاً عقدياً، لما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، ثم أتت بعدها قائمة المراجع والمصادر المعتمدة في هذه الدراسة.

الفصل الأول

مفهوم "العقيدة"، و "السلف"، من منظور إسلامي

المبحث الأول

مفهوم "العقيدة" من منظور إسلامي

المطلب الأول

العقيدة في اللغة

العقيدة في اللغة؛ مصدر من «العَقْدِ»؛ وهو الربط والشدّ بقوة، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسُك والمراصَّة، والإثبات والتَّوثق، ويقال: عَقَده يعقده عَقْدا، ومنه عُقْدَة اليمين والنكاح، قال تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ (المائدة: ٨٩)[1].

يقول ابن فارس: «العين، والقاف، والدال، أصل يدل على شدٍّ، وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها، من ذلك عَقَدَ البناء، وعقدت الحبل، وعقد العهد، والجمع: عقود. ويقال: عقد قلبه على كذا: فلا ينزع عنه، واعتقد الشيء: صَلُبَ، واعتقد الإخاء، أي: ثبت»[2].

ومنه **الاعتقاد**، وهو مصدر من «اعتقد» كذا إذا اتخذ عقيدة له؛ بمعنى عقد عليه الضمير والقلب، ودان لله به، وأصله من عقد الحبل، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم»[3]، **أي** «الحكم الذهني الجازم، يقال اعتقدت كذا؛ يعني: جزمت

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور «مادة عقد» ٣/ ٢٩٥ـ ٣٠٠، طبعة دار صادر، بيروت(د.ت)، والقاموس المحيط، الفيروز أبادي، «مادة عقد» ١/ ٣٢٧ـ ٣٢٨، المؤسسة العربية للطباعة، بيروت(د.ت)، والمعجم الوسيط «مادة عقد» ٢/ ٦٢٠ـ ٦٢١، مجمع اللغة العربية بمصر، طبعة إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، أخرجه إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبدالقادر، ومحمد علي النجار، (د.ت).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (عقد)، تحقيق: عبدالسلام هارون، طبعة الحلبي، ١٣٨٩هـ ج٤/ ٨٦ـ٨٧.

(٣) شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف العلامة: محمد خليل هراس، راجعه: الدكتور =

به في قلبي، فهو حكم الذهن الجازم؛ فإن طابق الواقع فصحيح، وإلا ففاسد»[1].

أفادت جل مشتقات لفظة «عقد»، من خلال استعمالاتها في المعاجم اللغوية معاني متعددة؛ منها الشد والربط، والتأكيد والتوثيق، سواء كانوا في الأمور الحسية كعقد الحبل أو الخيط إذا اشتد. أو في الأمور المعنوية كعقد البيع والنكاح والعهد.

المطلب الثاني
العقيـدة في الاصطـلاح

والعقيدة اصطلاحاً هي: الأمر الذي يجب أن يُصدق به القلب، وتطمئن إليه النفس، حتى يكون يقيناً ثابتاً لا يمازجه ريب، ولا يخالطه شك»[2]. أي «الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح. والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله بالطاعة والتحكيم والإتباع[3].

وإذا أطلقت لفظة «عقيدة» يراد بها «عقيدة أَهل السُّنَّة والجماعة»؛ أي عقيدة القرون الثلاثة المفضَّلة من سلفنا الصالح، الصحابة والتابعين وتابعيهم بإِحسان إلى يوم الدين.

= عبد الرازق عفيفي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الرابعة (د.ت)، ص ١٣.

(١) انظر شرح العثيمين، على «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة المقدسي، ص ٢٩، وانظر شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، شرحه الشيخ العثيمين، خرج أحاديثه: سعد بن فواز الصّميل، دار ابن الجوزي، الدمّام، السعودية، الطبعة السادسة، جمادى الأولى ١٤٢١هـ، ص ٥٠.

(٢) انظر صاحب مقدمة كتاب «العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية»، الأستاذ: مصطفى العالم، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٧.

(٣) انظر مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، دار الوطن للنشر، رسائل ودراسات في منهج أهل السنة (١٧)، ص ١٢، وانظر الحاوي من فتاوى الشيخ الألباني إعداد محمد إبراهيم، المكتبة العلمية للتراث، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ص ٩.

المبحث الثاني
مفهوم «السلف» من منظور إسلامي

المطلب الأول
السلف في اللغة

السلف في اللغة؛ مصدر من «سلف»، أي: ما مضى وتقدم، يقال: سَلف الشيء سَلفاً؛ أَي مضى، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، أي ما تقدم. قال ابن فارس: (سلف) السين، واللام، والفاء، أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون»[(١)]. ويقول الفيروز آبادي: «والشيء (سَلَفًا): (مضى)، وفلان سَلَفًا وسُلُوفًا: تقدم». وكل عمل صالح قَدَمتَه، أو فَرَطٍ فَرَطَ لك، وكل من تقدم من آبائك وقرابتك[(٢)].

قال ابن منظور أن للسلف معنيين: أحدهما: كل شيء قدمه العبد من عمل صالح، أو ولد صالح. والثاني: الذي يتقدم الإنسان من آبائه وذوي قرابته الذين هم من فوقه في السن[(٣)].

نخلص إلى أن تصاريف كلمة «السلف» في اللغة تدل على معنى: السبق والتقدم في الزمان كتقدم الآباء وذي القرابة، وكذلك تحمل دلالة كل ما يقدمه العبد في دنياه من عمل صالح، وخير ينتفع به يوم الآخرة.

(١) معجم مقاييس اللغة «، لابن فارس، مادة « سلف «، ٣/ ٩٥.
(٢) انظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (مادة سلف) ص ١٠٦٠.
(٣) انظر لسان العرب لابن منظور(مادة سلف)، ٩/ ١٥٩.

المطلب الثاني
السلف في الاصطلاح

وردت مفردة «السلفية» في دلالتها الاصطلاحية على معنيين[1]:

١ـ السلفية الزمنية: أي أنها تطلق على المجموعة المتقدمة والماضية من الأمة الإسلامية التي عاشت في فترة تاريخية معينة، واختلف العلماء في تحديدها على أقوال:

أ ـ أن السلف يراد بهم الصحابة فقط، كما الحال بالنسبة لشُرَّاح «الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني[2].

ب ـ وقيل المراد بالسلف عند الإطلاق هم: الصحابة والتابعون؛ وبه قال أبي حامد الغزالي؛ «واعلم أن الحق الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني: مذهب الصحابة والتابعين»[3].

ج ـ أن المراد بالسلف هم: الصحابة والتابعون وتابعو التابعين وهو قول جمهور أهل العلم[4].

(١) انظر تفاصيل تقسيم المعنى الاصطلاحي لجابر إدريس علي أمير في كتابه «منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، وأثر المنهجين في العقيدة»، سلسلة الرسائل العلمية من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٧)، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج ١/ ٣٥ـ ٤١.

(٢) انظر «حاشية العدوى على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، لعلي الصعيدي العدوي، ١/ ١١٢، ومقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص ٣ـ٥، والمفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، للمغراوي ١/ ١٨.

(٣) إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن مجموعة الرسائل للغزالي، ص ٣.

(٤) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية ٧/ ١٣٤، ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني ١/ ٢٠، والتحف في مذاهب السلف، للشوكاني، ص ٧، والإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل، للجليند، ص ٥٢.

والراجح هو التحديد الأخير، لما ثبت عن الرسول ﷺ في مدحه للقرون التي عاش فيها الصحابة والتابعين، وتابعو التابعين، وشهد لها بالخيرية كما ورد في حديث عبدالله ابن مسعود > أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»[1].

٢ـ السلفية المنهجية: المقصود بذلك «المنهج الذي كان عليه السلف الصالح من أهل القرون الثلاثة المفضلة، من اتباع للكتاب والسنة، وفهمهما الفهم الصحيح النقي غير المشوب بشائبة البدع والهوى، وكل من اقتدى بهم، وسار على دربهم فهو على منهجهم»[1].

فمدلول السلفية كما ذكر ذلك الشيخ محمد أمان الجامي؛ أصبح اصطلاحاً معروفاً يطلق على طريقة الرعيل الأول، ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمهم، فلم يَعُد إذاً محصوراً في دور تاريخي معين، بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة[3].

ومن ثمة فـ «السلفية» بمعناها المنهجي: «الذين تمسكوا بالسنة، واجتمعوا عليها، لم يلتفتوا إلى سواها، لا في الأمور العملية العقدية، ولا في الأمور العملية الحكمية، ولهذا سموا أهل السنة، لأنهم مستمسكون بها، وسموا أهل الجماعة،

(١) رواه البخاري، في كتاب فضائل الصحابة، انظر «صحيح البخاري»، مع الفتح ج٧/ ٢، حديث رقم ٣٦٥٠، و «مسلم» في كتاب فضائل الصحابة ج ٤/ ١٩٦٣، حديث رقم ٢٥٣٣.

(٢) «منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، وأثر المنهجين في العقيدة»، لجابر إدريس علي أمير، سلسلة الرسائل العلمية من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٧)، مكتبة أضواء السلف، الرياض/ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ١/ ٣٥ـ ٤١.

(٣) انظر: «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في الإثبات والتنزيه» للشيخ أمان الجامي، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ص ٦٤.

لأنهم مجتمعون عليها»[1]. يقول الإمام ابن تيمية ~ في الفتاوى، أن السلفية: «هم أهل الكتاب والسنة؛ لأنهم يؤثِرون كلامَ الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدِّمون هدْيَ محمدٍ ﷺ على هدي كلِّ أحدٍ، ويتَّبعون آثاره ﷺ باطنًا وظاهرًا»[2].

وبهذا يمكن تعريف السلف بأنهم الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ممن هم بكتاب الله عَاملون، وبأصول السنة وطرائقها مُستمسِكون، وبما ثبت عن المسلمين الأوائل أصحاب الرسول ﷺ، وأئمة الدين، مُتَّبِعون.

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأخيرة ١٤١٣هـ، المجلد الأول، فتاوى العقيدة، ص ٣٧. وانظر شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، شرحه الشيخ العثيمين، (المرجع السابق)، ج١/ ٥٣ـ٥٤. وانظر شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ورسائل في العقيدة، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ٥٣.

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ج٣/ ١٥٧.

الفصل الثاني
جهود الشيخ ابن العثيمين في خدمة العقيدة السلفية الصحيحة وحمايتها من الانحراف

المبحث الأول
أهمية دراسة العقيدة السلفية

إن أهمية دراسة العقيدة السلفيَّة تنبع من أهمية العقيدة نفسها، وضرورة العمل الجاد الدؤوب لإعادة الناس إليها، إذ إن معرفة عقيدة سلفنا الصالح معرفة صحيحة تُمكِّن الإنسان من تَبَيُّن حقيقة واقع الصراعات الإيديولوجية اليوم، وما يرافقها من تحريف عقدي عند شباب الأمة، ومن استخفاف وإخلال ببعض أصول العقيدة السلفية ومستلزماتها والتقصير فيما يجب نحوها فهماً وتطبيقاً، فهذه المعرفة قد تقوي في الإنسان المسلم عناصر الممانعة والصد لكل أشكال الغزو المتمثلة في الفلسفات والنظريات المعاصرة المعادية للإسلام[1]، إذ المتأمل لواقع البشرية اليوم وما تعانيه من اضطراب نفسي واجتماعي، يتضح له مرارة المعاناة ونكد الحياة التي تعيش في خضمها، وهذا يعسر خروجها من هذا الضيق، إلا إذا صحت عقيدتها واستقام سلوكها.

ثم أن هذه العقيدة تعد ضرورة من ضروريات الإنسان التي لا غنى له عنها، إذ الإنسان ميَّال بفطرته إلى معبود وخالق يلجأ إليه يعتقد فيه القوة والسند الدائم، ومن ثمة فالضرورة ماسة إلى فهم ودراسة العقيدة السلفية، لأنها ترتبط بعدة أمور[2]:

(١) الفلسفة بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية، الدكتور مصطفى حلمي، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر العربية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٨، بتصرف.

(٢) انظر شَرْحُ العقِيدَةِ الوَاسِطِيَّةِ لشيخِ الإسلام ابن تيميَّة، تأليف: العلاَّمة محمد خليل هرَّاس، (المرجع السابق) ص ص ٦-٧.

أولاً: أنه بها تتوحَّد صفوف المسلمين والدُّعاة، وعليها تجتمع كلمتهم.

ثانيًا: أنها تجعل المسلم يعظِّم نصوص الكتاب والسنة، وتعْصِمُه من ردِّ معانيها، أو التّلاعب في تفسيرها.

ثالثًا: أنها تَربط المسلم بالسَّلف من الصحابة ومَن تبعهم، فتزيده عزَّة وإيمانًا وافتخارًا، فهم سادةُ الأولياء، وأئمَّة الأتقياء، وخير هذه الأمة وأبرها قلوباً كما رُوِيَ عن ابن عمر[1].

رابعًا: تميُّزُهَا بالوضوح؛ حيث إنها تتَّخذ الكتاب والسنة منطلقًا في التصوُّر والفهم، بعيدًا عن التأْويل والتعطيل والتَّشْبيه، وتنجي المتمسِّك بها من هَلَكةِ الخوض في ذات الله.

كما تتبين أهمية دراسة العقيدة في وقتنا المعاصر من وجهين أساسيين:

الوجه الأول: أن العقيدة جزء من الدين، والدين الإسلامي وحدة متكاملة تغطي جميع فترات حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته ثم ما يصير إليه بعد موته، لذلك فمتى «رسخت في الفرد استقام سلوكه في حياته»[2].

الوجه الثاني: أنها أصل في أعمال الجوارح، إذ إن صلاح العقيدة يورث صلاح العمل والعكس بالعكس، لذلك فالعقيدة الإسلامية تقدم للإنسان كل ما يجب عليه معرفته في حق الله تعالى حتى يبلغ كمال المحبة، ومنه إلى كمال الإخلاص لله تعالى.

---

(١) فقد روي عنه أنه قال: «مَن كان مستنًّا؛ فليستنَّ بمَن قد مات، أولئك أصحاب محمّد كانوا خيرَ هذه الأمة؛ أبرَّها قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد، كانوا على الهدى المستقيم»، [انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد الأصفهاني، طبعة دار الفكر- بيروت، لبنان، [د. ت]، (ج١/ ٣٠٥)].

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، في سلسلة طريق الإسلام (١)، دار القلم - بيروت، لبنان، الطبعة الثانية- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (طبعة منقحة ومزيدة)، ص ٨.

ومن هنا تكمن أهمية دراسة العقيدة، على اعتبارها مدخلاً من مداخل تخليص الأعمال والأقوال والاعتقادات من الكفر والشرك، ثم أن علم العقيدة من أهم علوم الدين على الإطلاق، فهي أول واجب على المكلف معرفته؛ وأشرف العلوم وأعظمها وأعلاها؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو الله، كما يقول ابن أبي العز الحنفي، وحاجة العباد إلى علم العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم، ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له وما ينزه عنه»[1].

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، (المرجع السابق) ص ٩ بتصرف يسير.

المبحث الثاني
عناية السلف الصالح بالعقيدة السلفية الصحيحة

لقد أعز الله تعالى هذا الدين برجال مخلصين من علماء هذه الأمة، وأتباعهم الذين أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، وأرسوا القواعد السليمة للعقيدة الصحيحة، فردوا كيد المكيدين وأبطلوا دعاوى وأدلة المفسدين، وفندوا حجج الحاقدين؛ إذ لعبوا دوراً كبيراً في تنقيتها ومقاومة الغالين والمبتدعين، فلم يلزموا الصمت إزاء البدع العقائدية المنكرة، بل أنكروها وبذلوا في مدافعة أهلها جهداً علمياً وفكرياً كبيراً، حتى أن كثير منهم لقي التعذيب والتنكيل كما هو الحال بالنسبة للإمام أحمد في مسألة خلق القرآن، فصبر على ذلك حتى أنار الله تعالى به السنة، وخذل به أهل البدعة، فرسخ بذلك العقيدة الصحيحة وجنبها من الانحراف.

ومنهم كذلك من قام بفضح عقائدهم ودحض شبهاتهم، والرد على مزاعمهم، إذ أخذوا يوضحون للناس عقيدة السلف، وألفوا في ذلك كتبا ورسائل عدة،؛ فألَّف عثمان بن سعيد الدارمي «رده على بشر المريسي»، «والرد على الجهمية»، وكتب البخاري كتابه «خلق أفعال العباد»، رداً على المعتزلة والقدرية، وصنف عبد العزيز الكناني كتابه «الحيدة» في الرد على بشر المريسي، ثم تتابع التأليف والتصنيف في نصرة مذهب السلف وذم مذاهب أهل البدع، حتى جاء شيخ الإسلام ابن تيمية، فكان له الباع الطويل والجهد الوفير في مناقشة أهل البدع، والرد على شبههم وكشف زيفهم وضلالهم، فقد كرس ~ جهده وألف في العقيدة كتباً ورسائل مهمة؛ أهمها: كتاب اقتضاء الصراط المستقيم، ومنهاج السنة ونقض المنطق، والعقيدة الواسطية،.. وغيرها من المؤلفات التي تزخر بها المكتبات الإسلامية اليوم. وقد سار على منهجه واقتفى أثره تلميذه ابن القيم، فصارت

كتبهما مرجعاً وملاذاً لكل من سلك طريق أهل السنة والجماعة. وممن أسهم في باب العقيدة في عصرنا الحاضر الشيخ محمد بن صالح العثيمين، رحمة الله عليه، فصار على نهج هذين الإمامين الجليلين يوضح مذهب أهل السنة والجماعة ويرد على من خالفهم، وقد ألف ~ مصنفات عدة في باب العقيدة[1]؛ ليؤكد سيره على نفس منهج سلفنا الصالح في الدفاع عن العقيدة السلفية وبيانها للناس، حتى لا يجهلوا حقيقتها.

وقد كان منهج السلف في الاستدلال على الأمور العقدية؛ الاقتصار على ما في الكتاب والسنة؛ إذ كانوا «يراعون لفظ القرآن والحديث، فيما يثبتونه وينفونه في الله وصفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدَثٍ مبتدَع في النفي والإثبات؛ بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول الكريم»[2]. فاستقوا من ينابيع الإسلام الصافية، التي سلمت من أيادي الزندقة والضلال، وأصابع التحريف والتضليل[3]، وقد تجلى المنهج واضحاً في تثبيت العقيدة السلفية الصحيحة وحمايتها من دعاوى المنحرفين وأصحاب الأهواء من خلال:

* تقديم الأدلة الشرعية على الأدلة العقلية في الاستدلال على القضايا العقدية، إذ اعتمدوا على وحي الله تعالى واعتصموا به في كل أمور دينهم، وجعلوا أهواءهم تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ.

* الاستدلال في قضايا العقيدة بطريقة القرآن، وذلك في الاستدلال على

(١) راجع تصانيفه في باب الاعتقاد، أوردها محقق شرح الشيخ ابن العثيمين على «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة المقدسي، ص ١٤ـ١٥، إضافة إلى مؤلفات أخرى لم يذكرها المحقق، نذكر منها: [فتح رب البرية بتلخيص الحموية؛ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى؛ شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد؛ لابن قدامة المقدسي، عقيدة أهل السنة والجماعة؛ شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية؛..].

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (ج٥/ ٤٣٢).

(٣) انظر مقدمة بدر بن عبدالله البدر لكتاب «الرد على الجهمية»، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي، (المتوفى سنة٢٨٠هـ)، الدار السلفية للنشر، الصفاة، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٣.

ربوبية الله ووحدانيته، إذ سلكوا «طريقة القرآن الكريم التي ترشد أولي الألباب إلى ربهم عن طريق الآيات الكونية التي يشاهدونها فيزداد إيماناً مع إيمانه من كان مؤمناً، وترجعه على فطرته التي ندّ أو غفل عنها من خرج عن فطرته التي فطر الله عليها»(١).

* عدم تحكيم العقل في فهم وتأويل الأمور العقدية، إلا بالقدر الذي تؤديه العبارات وتضافرت به الأخبار عن النبي ﷺ، فيكون العقل عندهم حينئذ مؤيداً ومقرراً، لا حاكماً أو شاهداً، مهمته تقريب المنقول من المعقول من غير أن يكون له سلطة في الرفض أو القبول(٢).

* عدم الاشتغال بعلم الكلام واعتباره بدعة مستحدثة، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ (الأنعام: ٦٨).

وهكذا فقد سار سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين، ومن سلك نهجهم، وخطا خطاهم، على نهج نبيِّنا وصراط ربنا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وكانوا يعلمون أن صلاح حال المسلمين وإخراجهم مما هم عليه من جهل وفساد وانحراف وتخلف مرتبط بصلاح عقيدتهم واستقامتهم على دين الله، ومن ثمة فقد آلو جهداً في تصحيح العقيدة وتثبيتها بما كان عليه رسول الله وصحابته الكرام البررة.

(١) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، وأثر المنهجين في العقيدة، جابر إدريس علي أمير، المرجع السابق، ج ١/ ٢١٥.

(٢) العقيدة السلفية بين الإمام أحمد بن حنبل، والإمام ابن تيمية، للدكتور سيد عبد العزيز السّيلي، المرجع السابق، ص ٢٧٢.

المبحث الثالث
جهود الشيخ ابن العثيمين وآثاره العلمية
في ترسيخ العقيدة الصحيحة وحمايتها من الانحراف

لقد عُرِف الشيخ العثيمين، رحمه الله وأكرم في الجنة مثواه، بنشاطه الكبير في مجال الدعوة إلى الله، وتبصير الناس إلى الحق المبين، من خلال دروسه النافعة وخطبه المتميزة بالمسجد الكبير بعنيزة، بالقصيم، وكذا من خلال فتاويه الرصينة لجماهير المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في مواسم الحج، وغيرها، فقد كان يبذل كل حياته لخدمة العلم، إذ أقبل على العلماء في عصره، وفي بلده، المملكة العربية السعودية، فواكب دروسه، وأكبَّ على كتب أهل العلم في فنون شتى، حتى نال في وقت مبكر من عمره علوماً كثيرة. وقد بارك الله تعالى في أوقاته وعمله، فاستفاد منه خلق كثير في حياته، ولازال طلاب العلم ينتفعون بمؤلفاته إلى يومنا هذا في مختلف فنون الشريعة الإسلامية؛ من فقه، وتفسير، وحديث، وأصول، وعقيدة، وغيرها من الفنون.

وقد كان الشيخ العثيمين بِحَق، عَلَماً من أعلام المجددين والدعاة إلى الحق المبين، وله عناية خاصة وبالغة بالعقيدة السلفية الصحيحة، اعتقاداً منه أن باب العقيدة من أهم الأبواب التي قد أُوتِيَت من قِبَلِهَا الأمة الإسلامية بالانحراف والزيغ والضلال، إذ أفرد لتصحيحها والدفاع عنها كتباً ورسائل عدة، دعا فيها إلى التوحيد الخالص من الشوائب، ومحاربة البدع والمبتدعين من الغلاة والمتكلمين. ولذلك فالمتأمل لجل إنتاجاته العلمية؛ سواء الفتاوى أو الرسائل العلمية؛ يجد أنها تعالج الجوانب العقدية، ونذكر من ذلك[1]:

(١) راجع تصانيفه في الاعتقاد التي أوردها محقق شرح الشيخ ابن العثيمين، على «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة المقدسي، ص ١٤ـ١٥، إضافة إلى مؤلفات أخرى لم يذكرها المحقق.

* **فتح رب البرية بتلخيص الحموية**، وهو أول كتاب طبع له، ضمن مجموع رسائل في العقيدة.
* **نُبذ في العقيدة الإسلامية**: شَرَح فيه أركان الإيمان، وهو مطبوع بمكتبة المعارف، الرياض.
* **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**.
* **شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد** لابن قدامة المقدسي.
* **عقيدة أهل السنة والجماعة**، وهو من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
* **شرح العقيدة الواسطية** لابن تيمية. وهو مطبوع.
* **تفسير آية الكرسي**، وهو مطبوع أيضاً.
* **رسالة في الوصول إلى القمر**، طبع ضمن مجموع رسائل في العقيدة.
* **شرح كتاب التوحيد** لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، «القول المفيد في كتاب التوحيد».
* **شرح الأصول الثلاثة** لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.
* **إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار** وهو عبارة مسائل متعددة في العقيدة.
* بالإضافة إلى **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين**» في العقيدة، المجلد الأول.

وقد وقف الشيخ العثيمين مع مختلف الملل والنحل والمذاهب المعاصرة وقفة مُتبصر، فبَيَّن ما فيها من الزيغ والانحراف، وكان منهجه في ذلك:

* استدعاء النصوص النقلية، والأدلة العقلية، ونوازل الواقع وأحداثه في نسق تكاملي للاستدلال على المسائل الاعتقادية السليمة، والرد على الفرق الضالة بما

يبطل مزاعمها.

* تقديم الأدلة النقلية علي الأدلة العقلية؛ وهذا ما أجمع عليه سلف الأمة وعلماء الإسلام، على أن يُعمل بالعقل في فهم النصوص وفي دراستها وفي الاستنباط منها، وألا تكون العقول هي مصدر الاستدلال الأول، ولا أن تكون هي المتحكم في النصوص الصحيحة الصريحة.

* التقيد بمذهب أهل السنة والجماعة، في التعريف بمفهوم «التوحيد»، والتركيز على باب الأسماء والصفات لما شابها من انحراف.

* تجنب الجدل والخصومات في الدين، ورفض التأويل الكلامي على اعتباره مسلك غير سليم، لا يستقيم في حق أسماء وصفات الله تعالى، ولا في حق كل القضايا العقدية التي اعتقدها سلفنا الصالح والذين التزموا فيها بمنطق التوقيف.

وانطلاقاً من هذا البعد العلمي والدعوي كانت عناية الشيخ العثيمين بالتوحيد عناية بالغة، فأولاه اهتماماً كبيراً، ويكفي ما يدل على اهتمامه وعنايته به ~ تأليفه كتباً ورسائل عدة، بَيَّن فيها معنى التوحيد، وما يناقضه من الشركيات، ورد على الفرق المبتدعة وأبطل حججها؛ يقول في هذا السياق؛ أن «منزلة التوحيد في الدين عالية وأهميته عظيمة، ولا يمكن لأحد أن يعبدالله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله وصفاته، ليعبده على بصيرة»[1].

إنه لما كانت العقيدة أو التوحيد تتضمن ثلاثة أنواع؛ **أحدها**: الكلام في الصفات، **والثاني**: توحيد الربوبية، أي؛ أن الله وحده خالق كل شيء. **والثالث**: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه أن يعبد وحده لا شريك له، فقد أبلى الشيخ الجليل محمد بن صالح العثيمين البلاء الحسن في بيان وتصحيح هذه الأنواع

(١) انظر شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تأليف محمد بن صالح العثيمين، خرج أحاديثه وعلق عليه: أسامة عبد العزيز، دار التيسير للنشر والتوزيع، مصر العربية، (د.ت)، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ١٤.

الثلاثة، وترسيخها في قلوب وعقول الناس لما كان عليه رسول الله وصحابته الكرام المشهود لهم بالخيرية والأفضلية.

يقول الشيخ العثيمين؛ في رصده لهذه الأنواع الثلاثة من وجوه التوحيد:

الأول: توحيد الربوبية: وهو إفراد الله سبحانه بالخلق والملك والتدبير، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات: ٩٦)، وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الملك: ١).

الثاني: توحيد الألوهية: وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً، يعبده ويتقرب إليه، وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم ﷺ.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات؛ وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى به نفسه، ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله، وذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفى «من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل»[(١)].

فلابد إذن من الإيمان بما سمى الله به نفسه، ووصف به نفسه على وجه الحقيقة لا المجاز، ولكن من غير تكييف، ولا تمثيل، وهذا النوع من التوحيد ضل فيه كثير من طوائف هذه الأمة، الذين ينتسبون للإسلام على أوجه شتى؛ منهم من غَلاَ في النفي والتنزيه غُلُوّاً يخرج به من الإسلام، ومنهم متوسط، ومنهم قريب من أهل السنة، ولكن طريقة أهل السلف في هذا النوع من التوحيد، هو أن يسمى الله، ويوصف بما وصف به نفسه على وجه الحقيقة، لا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف، ولا تمثيل كما قال الشيخ العثيمين ~ [(٢)].

(١) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، (المرجع السابق) ج ١/ ١٧، ص ص ٢١ـ٢٢، وانظر شرح الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص ٣٣.

(٢) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (المرجع السابق) ج١/ ١٧ـ٢١ـ٢٢.

الفصل الثالث

الأسس والمنطلقات العلمية والمنهجية

في دراسة العقيدة السلفية وحمايتها من الانحراف

لقد بذل الشيخ العثيمين جهوداً متواصلة وجادة في خدمة العقيدة وحمايتها وتنقيتها مما علق بها من شوائب الفرق الضالة والمبتدعة، وقد ساهم بذلك في ترسيخ منهج الوسط والاعتدال في الأمور الاعتقادية، وقد نهج من أجل هذا المبتغى أسساً وضوابط قويمة، استطاع من خلالها إبطال ودحض دعوات المبطلين ورد كيد المكيدين، وحسبنا هاهنا أن نقف مع الأسس العلمية والمنهجية التي اعتمدها الشيخ في تحقيق بغيته:

وقبل الحديث عن الأسس العلمية والمنهجية التي اعتمدها الشيخ في دراسة العقيدة لابد من الإشارة إلى بعض من خصائص منهج الشيخ وسماته والتي يمكن إجمالها في الآتي:

* إتباع ما كان عليه سلف هذه الأمة من فهم للأمور العقدية من التزام بالوسطية والاعتدال؛ فكان حريص على الأخذ بمبدأ الوسط بين الإفراط والتفريط، في كل مسائل الاعتقاد.

* الاستدلال بأخبار الآحاد في المسائل العقدية، إذا دلت القرائن على صدقها.

* التركيز على الواقع كمصدر من مصادر الفهم والتعرف على المشكلات العقدية المعاصرة.

* البراءة من وجوه الانحراف والبدع التي آلت إليها بعض الفرق الضالة؛ من المشبهة و المعطلة، وعمل على بيان ما عليها من انحراف وزيغ عن الاعتقاد السليم.

المبحث الأول

الأسس والمنطلقات العلمية في دراسة العقيدة وحمايتها من الانحراف

المطلب الأول

أساس فهم الواقع والتعرف على مشكلاته

إن فقه واقع المجتمع الإسلامي، والتعرف على مشكلاته وقضاياه المحورية في وقتنا المعاصر، يعد مدخلاً مهماً من مداخل الدفع به نحو مستوى راق من مستويات الشهود الحضاري، وذلك بعد إرساء المعتقدات السليمة في عقل المسلم، والكشف عن الانحرافات التي تحيط به وتشوش عليه، إذ إن بدء عملية التصحيح والتغيير تنطلق من معرفة ذلك الواقع معرفة عميقة ودقيقة لما تدور عليه حياة الناس، وما يعترضها من تحديات وإكراهات قد تعوق نجاح وفعالية هذه العملية، واستغلال كل السبل والمداخل الممكنة للتعامل مع هذه المجتمعات تعاملاً سليماً من شأنه أن ينتج ثماراً طيبة، وهذا ما عبر عنه الدكتور العلواني بقوله؛ أن دراسة الواقع وفقهه أمران في غاية الأهمية، فليس هناك معالجة لأي أزمة في الحاضر، وتخطيط لمستقبل، أو بناء أو تنمية في المستقبل، يمكن أن يكتمل ويؤدي دوره، ويحقق ثماره دون دراسة «الواقع وفقهه»[1]، ويراد بالواقع في هذا السياق؛ كل مظاهر وتجليات التفاعل ودرجات التأثير والتأثر في حياة الناس في جميع المناشط المجتمعية، وما يرافق ذلك من تحولات وأعراض ونوازل. أو بمعنى آخر؛ ما تجري عليه حياة الناس، في مجالاتها المختلفة، من أنماط في المعيشة، وما تستقر عليه من عادات وتقاليد وأعراف، وما يستجد فيها من نوازل وأحداث»[2].

(١) مفاهيم محورية في المنهج والمنهجية، أ.د منى أبو الفضل، أ.د طه جابر العلواني، دار السلام، للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، ص ٢٠.

(٢) عبد المجيد عمر النجار، «فقه التدين، فهما وتنزيلا»، الزيتونة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، ص ٨٦ـ٨٧.

ومن ثمة فإن فهم الواقع بكل مركباته وعلائقه، والمؤثرات المختلفة التي تعج فيه، أمر ضروري للمجتهد والمفكر والقاضي والفقيه والمفتي والمصلح، لأن الانخراط الفعلي في الواقع الإنساني، هو قدر ضروري لا غنى عنه لمن يريد فهمه، سواء كان فقيهاً مُشرِّعاً، أو فيلسوفاً مصلحاً، أو أديباً معبراً عن الطموح الإنساني. وكل من رام غرضاً من هذه الأغراض، في عزلة عن خضم الواقع الإنساني، في مظاهره الفردية والاجتماعية، لا يكون منه إلا مقولات مبنية على المثالية والخيال، فلا تثمر تغييراً فاعلاً نحو الأصلح»[1].

إن استيعاب الشيخ العثيمين لهذه المتطلبات المعرفية واستشهاده بالنماذج الواقعية من حياة الناس، يشكل وعياً حقيقة بأهمية فقه الواقع والمتغيرات في فكره ومنهجه في التعامل مع الأسئلة المستحدثة من أمور الناس، وقد حرص ~ على استحضار وقائع وصور المجتمع وتشكلاته المختلفة من خلال ضرب الأمثلة بها في الإجابة عن المسائل المطروحة، وذلك حتى يستوعبها الناس، ويأخذوا الدروس والعبر منها في حياتهم، وحسبنا الاقتصار هاهنا على بعض هذه الاستشهادات الواقعية في ردوده وفتواه، يقول الشيخ في سياق جوابه عن معنى منهج الوسط والتوسط في أمر الدين؛ أن رجلاً كان أسيراً لامرأته، تُوجِّهُهُ حيث شَاءت لا يَرُدُّها عن إثم، ولا يَحُثُّها على فضيلة، قد مَلَكَت عَقله وسَارت هي القَوَّامة عليه، ورجل آخر؛ عنده تَعسُّف وتَكَبُّر وتَرفُّع على امرأته لا يبالي بها، وكأنها عنده أقل من الخادم. وثالث وسط؛ يعاملها كما أمر الله ورسوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨)[2].

فهذا نموذج آخر من النماذج التي وظفها الشيخ في ترسيخ العقيدة الصحيحة، فنجده يقول مثلاً؛ في سياق استدلاله على وجود الجن وتأثيره على الإنسان؛ أنه

(١) عبد المجيد عمر النجار، «فقه التدين، فهما وتنزيلا (المرجع السابق)، ص ١٠٠.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المرجع السابق)، المجلد الأول، فتاوى العقيدة، ص ٤٣.

إذا أتى الإنسان خربة ـ أي مكان مهجور ـ فيرمي الحجارة وهو لا يرى أحداً من الإنس في هذه الخربة، وقد يسمع أصواتاً، وقد يسمع حفيفاً كحفيف الأشجار، وما أشبه ذلك مما يستوحش به، ويتأذى به[1]، فما أكثر هذه النماذج في واقعنا المعاش، وانعكاساتها على صيرورة الحياة الطبيعية للإنسانية، من استقرار نفسي واجتماعي، حتى أصبحت تعرض على مسامعنا قصص تُبَيِّن معانات الأزواج من تسلط الزوجات، وسيطرتهن على الأمور الأسرية، فانقلبت بذلك المفاهيم، وأصبحت القِوَامَة للمرأة بدل الرجل، ومن ثمة فتوظيف الشيخ العثيمين لمثل هذه النماذج، ينم حقيقة عن اطلاع عميق على واقع الناس، إذ المتأمل لجل الإشكالات الاجتماعية المعروضة في المحاكم وغيرها، تغلب عليها القضايا الأسرية، وما رافق ذلك من تحولا ت مجتمعية جذرية تمس بثوابت الأسرة المسلمة.

وهكذا فإن تصحيح عقيدة سلفنا الصالح في المجتمع المسلم وحمايتها من الانحراف، لن يتم بالشكل المطلوب، ما لم يتم تنزيل نصوص الوحي العقدية تنزيلاً سليماً يراعي الواقعية في المعالجة والتطبيق، فيكون ذلك بمثابة ثمرة لفقه الواقع وتفاعل النص مع قضاياه. فكثيرة هي المعتقدات البدعية التي يعتقدها الناس ويظنون أنها من الدين، وما هي من الدين، لكن العَالم والداعية المتبصر بعمق التحولات المجتمعية ينبغي أن يكون على اطلاع بأحوال اَلناس وما هم عليه من الصحة والصواب في الأمور العقدية، مما يجعله يستخلص مؤشرات مهمة لبناء وتبيان مواقف الشريعة من ذلك الأمر الذي جانب فيه صاحبه الاعتقاد الصائب والسليم، عندئذ سيكون على بينة وصواب من فتواه حتى يعمل على تصحيحها ورفع الزيغ والانحراف عنها.

(١) انظر فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج١/ ٢٨٧ـ٢٨٨.

المطلب الثاني

أساس الإتباع والاقتداء بما كان عليه رسول الله، وصحابته البررة الكرام من التزام بالوسطية في الدين

إن النبي ﷺ حقيق وجدير بأن يُتَّبَع ويُتَّخذ أسوة ومنارة اهتداء كما يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وقد ذكر الدكتور صلاح الدين سلطان في كتابه «الضوابط المنهجية لاتباع الرسول ﷺ»، جملة من البواعث التي تبين مقدار محبة النبي ﷺ واتباعه[1]؛ وما يؤكد فضل الاتباع والاقتداء لما كان عليه رسول الله، ما قال به الإمام الصابوني؛ أنه من تمسك اليوم بسنة رسول الله ﷺ، وعمل بها، واستقام عليها، ودعا بالسنة إليها، كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة، في أوائل الإسلام والملة»[2]، ويثبت هذا ما روي عن المصطفى من حديث أبي أمية الشعباني، حين سأله أبا ثعلبة الخشني عن مدلول قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ (المائدة: ١٠٥)، إذ جاء في سياق الرد

(١) ذكر من بين البواعث؛ أن النبي ﷺ: أحب خلق الله إلى الله، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف:٨١]، وأنه أكمل خَلق الله أخلاقاً، وأرفعهم قدراً، وقد وصفه الله في القرآن بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، وأنه صاحب المعجزات الكبرى، وأهمها القرآن الكريم وهو المعجزة الإيمانية العلمية الأخلاقية التشريعية اللغوية البلاغية التي أعجزت الجن والإنس أن يأتوا بسورة مثله. كما أنه شديد الحب لأمته عظيم الشوق لرؤيتنا، لما روي عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «وددت أني لقيت إخواني، فقال أصحابه: أوليس نحن إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي، و لكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني»[سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ص٢٨٨٨]، انظر الضوابط المنهجية لإتباع الرسول، د: صلاح الدين سلطان، دار مملكة البحرين للنشر، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،الطبعة الأولى، ربيع الأول ١٤٢٩هـ ـ مارس ٢٠٠٨م، ص ٥.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة، وأصحاب الحديث والأئمة، لأبي عثمان إسماعيل الصابوني، دراسة وتحقيق: ناصر بن عبدالرحمن الجديع، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ص ٣١٧.

أنه قال له: «أجر خمسين»، فقيل: خمسين منهم؟ قال: «بل منكم»[1]، وذلك «لمن عمل بسنته عند فساد أمته»[2]، وليس أياً كان من هذه الأمة، بل من ألزم نفسه العمل وإتباع ما كان عليه رسول الله.

إن ما يبرر فعل الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ أيضاً في أمور العقيدة كونهم أعلم الناس بالعقيدة بعد الرسول ﷺ؛ إذ إن أقوالُهم وتفاسيرهم للنصوص حجةٌ؛ يقول الإمام أحمد أن «أصول السُنَّة عندنا: التمسكُ بما عليه أصحاب رسول الله، والاقتداءُ بهم، وتركُ البدع، وكل بدعة فهي ضلالة»[3]، **ومن هنا جاءت** تسمية السلف الصالح بـ «أهل الاتباع»، لأن من طريقتهم: اتباع آثار رسول الله باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويُبَيِّن ذلك ما رواه أبو داوود عن النبي ﷺ: (ومن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسّكوا بها، وعضّوا عليه بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[4]،

(١) هذا جزء من حديث أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: يا أبا ثعلبة، كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم». قال عبدالله بن المبارك: وهو من رجال الحديث ـ وزادني غير عتبة «قيل يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم»، أخرجه الترمذي واللفظ له، وقال حديث حسن غريب (سنن الترمذي ٥/ ٢٨٥، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة المائدة، رقم الحديث ٣٠٥٨)، وأبو داوود (بذل المجهود ١٧/ ٢٧١، كتاب الملاحم، باب في الأمر والنهي)، وابن ماجة (سنن ابن ماجة، ٢/ ١٣٣٠، كتاب الفتن، رقم الحديث ٤٠١٤).

(٢) انظر، «عقيدة السلف وأصحاب الحديث"، للإمام الصابوني، (المرجع السابق) ص ٣١٧، وما بعدها.

(٣) راجع «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي (١/ ١٥٦).

(٤) أخرجه أبو داوود بذل المجهود في شرح سنن أبي داوود ١٨/ ١٤٦، والترمذي في سننه، ٥/ ٤٤، كتاب العلم، رقم الحديث ٦٧٦.

يقول الحق سبحانه: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥)، وسبيل المؤمنين لاشك أنه سبيل الصحابة والتابعين، والقرون الفاضلة في الدين، الذين أثنى الله ورسوله عليهم، وأمرنا باتباعهم، مع التزام المنهج الوسط والتوسط في الأمور كلها، خاصة في القضايا العقدية؛ معنى ذلك «التزام الوسط بين فرق الغلو وفرق التفريط، وهم في الأعمال والسلوك وسط بين المُفرطِين والمفرِّطين»[(١)]، إذ إن منهج السلف الصالح هو خَيرٌ بين شَرَّين، بين شر التفريط، وشر الإفراط[(٢)].

يقول ابن تيمية في سياق تعليقه على أحاديث الرؤية؛ إن الفرقة الناجية، يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هُمُ الوسط في فِرَقِ الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجَهْمِيَة، وأهل التمثيل المشبِّهة»[(٣)]، والوسط في الدين كما يقول الشيخ العثيمين أن «لا يغلو الإنسان فيه، فيتجاوز ما حد الله ولا يقصر فيه، فينقص ما حد الله. وقد ضرب لذلك مثالاً واقعياً لثلاثة رجال أمامهم رجل فاسق، أحدهما قال: أنا لا أسلم على هذا الفاسق، وأهجره

(١) مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، د. ناصر عبدالكريم العقل، دار الصفوة، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية ـ شعبان١٤١٢،ص ٢٨

(٢) وقد ذكر د. صلاح سلطان في كتابه: الضوابط المنهجية لاتباع الرسول، ضابط؛ «وسطية الاتباع بين الإفراط والتفريط»، وأورد فيه كلاماً قيماً، للإمام ابن القيم في كتابه القيم «مدارج السالكين»، تقديم: محمد بن عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ـ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ٢/ ١٠٧، تحت عنوان: «فساد الاتباع في الإفراط والتفريط»، مفاده أن: «السلف يذكرون هذين الأصليين كثيراً، وهما: الاقتصاد في الأعمال، والاعتصام بالسنة»، ويقول: «ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان؛ إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو. ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد».

(٣) شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف العلامة: محمد خليل الهراس، ص ص ٨٨ـ ٨٩.

وابتعد عنه ولا أُكَلِّمه. والثاني؛ يقول: أنا أمشي مع هذا الفاسق وأسلم عليه، وأبش في وجهه، وأدعوه عندي وأجيب دعوته، وليس عندي إلا كرجل صالح. والثالث؛ يقول: هذا الفاسق أكرهه لفسقه، وأحبه لإيمانه ولا أهجره إلا حيث يكون الهجر سبباً لإصلاحه، فإن لم يكن الهجر سبباً لإصلاحه، بل كان سببا لازدياده في فسقه فأنا لا أهجره[1]. فدل هذا على وجوب إتباع منهج الوسط، وتجنب الغلو، يقول ﷺ: «إياكم والغلو، فإنما أَهلك من كان قبلكم الغلو[2].

يستفاد من الحديث دلالة واضحة على حرمة وتحذير النبي الكريم أمته من الغلو، وأنه سبب ومصدر هلاك الأمم السابقة لتنطعها وغلوها في دينها، ولذلك فما أحوج العقل المسلم اليوم من اعتماد التناول المنهجي السلفي الذي يدعو إلى اتباع النبي ﷺ على علم وبصيرة؛ كي لا نغلو مع الغاليين، ولا نفرط مع المفرطين، فدين الله تعالى كما يقول الشيخ العثيمين؛ بين الغالي فيه، والجافي عنه، وكون الإنسان معتدلاً لا يميل إلى هذا، ولا هذا هو الواجب، فلا يجوز التشدد في الدين والمبالغة، ولا التهاون وعدم المبالاة، بل كن وسطاً بين هذا وهذا[3]. وقد بيَّن هذا الشيخ العثيمين في حديثه عن أقسام الغلو، فذكر أوجه الغلو عند الفرق والمذاهب المعاصرة في أمور العقيدة، فقال أن أهل السنة والجماعة وسط في باب الصفات بين طائفتين متطرفتين: طائفة غلت في التنزيه والنفي؛ وهم أهل التعطيل من الجهمية

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ العثيمين، المجلد الأول، ص ٤٢ـ٤٣، وانظر شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرحه العثيمين، ج٢/ ٦٤.

(٢) من حديث ابن عباس رواه الإمام أحمد في المسند، ١/ ٢١٥، و ٣٤٧، وابن ماجة كتاب المناسك، باب قدر الحصى ٢/ ١٠٠٨.

(٣) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، شرح فضيلة الشيخ ابن العثيمين، اعتنى به جمعا وترتيبا وتصويبا وعزا آياته، وخرج أحاديثه، ووضع فهارسه: الدكتور سليمان بن عبدالله ابن حمود أبا الخيل، والدكتور خالد بن علي بن محمد المشيقح، دار العاصمة للنشر والتوزيع، (د.ت) ج ١/ ٣٧٩ـ ٣٨٠.

وغيرهم، وطائفة غلت في الإثبات؛ وهم الممثلة»[1].

(١) الفوائد المنتقاة من شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين، أبو محمد إسماعيل بن مرشود ابن إبراهيم الرميح، دار طويق للنشر والتوزيع ـ الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ـ ١٤١٨هـ، ص ٢٠.

وانظر شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرحه سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (المرجع السابق) ج٢/ ٦٧.

وانظر القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، شرح فضيلة الشيخ ابن العثيمين، (المرجع السابق) ج ١/ ٣٨٠.

المطلب الثالث

اعتماد المنهج التكاملي في تثبيت وترسيخ العقيدة الصحيحة

إن مداخل إثبات العقيدة السلفية الصحيحة في المجتمع المسلم، لا يمكن أن تتم بالشكل المطلوب، وبصفة تجريدية مفصولة عن حراك الواقع الحياتي، بل يتم من خلال علاقة تفاعلية وتكاملية بين عناصر ثلاث؛ بين النصوص النقلية، والأدلة العقلية، وبين نوازل الواقع وأحداثه، ففي ظل هذا التفاعل «يتأمل العقل وينظر في مدلولات النص الديني من حيث هي أحكام، مقصدها تقويم واقع الحياة وترشيده، فيكون إذاً لهذا الواقع الذي هو موضوع التقويم دوراً كبيراً في عملية الفهم»[1]، إذ إن الفهم السليم للعقيدة من نصوصها النقية يتم بالنظر العقلي؛ والعقل الإنساني مهما كان مبنياً على المنطق الصحيح في أصل فطرته، فإنه يتأثر في بنائه التكميلي بواقع الحياة وأوضاعها، وهذا ما يمثل «تدخلاً غير مباشر للواقع في الفهم عامة، بما في ذلك فهم الدين»[2]، لذلك فالفهم السليم للأمور الاعتقادية التي كان عليها رسول الله ﷺ، يحتاج منا إلى اعتماد مقاربة تكاملية بين مختلف المناهج النقلية والعقلية، وغيرها، حتى تترسخ العقيدة وتثبت بالشكل المطلوب عند الناس ـ خاصة الأميين منهم، فينعكس ذلك الاعتقاد في سلوكياتهم وأفعالهم، ويحصل التصديق اليقيني في أذهانهم، فتكون العقيدة بذلك دليلاً حقيقياً، ومرجعاً يوجه حياتهم في كل مظاهرها، وذلك بعد الاقتناع بحقَّانيتها.

يقول الإمام ابن القيم ~ : «إن السمع حجة الله على خلقه، وكذلك العقل فهو سبحانه أقام عليهم حجتهم بما ركب فيهم من العقل، وأنزل إليهم من السمع.

(١) عبد المجيد النجار، «فقه التدين، فهما وتنزيلا»، (المرجع السابق)، ص ٨٨، بتصرف.

(٢) نفسه، ص ٨٧.

والعقل الصريح لا يتناقض في نفسه، كما أن السمع الصحيح لا يتناقض في نفسه، وكذلك العقل مع السمع، فحجج الله وبيِّناته لا تتناقض ولا تتعارض، ولكن تتوافق وتتعاضد»[1]، لابد إذن من انتهاج الأدلة العقلية بجانب النقلية، إذ الحجة العقلية الصريحة لا تناقض الحجة الشرعية الصحيحة، إذ التكامل بين هذه الأدلة أمر مطلوب حتى تكتمل الرؤية الاستدلالية على الأمور العقدية، والمنهج نفسه اعتمده الشيخ العثيمين في الاستدلال على المسائل الاعتقادية، وحسبنا هاهنا أن نستدعي نموذجاً من ذلك ـ لضيق المقام ـ يوضح منهجه التكاملي في دراسة العقيدة، فنأخذ مسألة إثبات صفة العلو لله •.

إن المتأمل في مسألة علو الله تعالى ـ بذاته على خلقه ـ بعد ردها إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ كما يقول الشيخ ابن العثيمين، يَتَبَيَّن له أن الكتاب والسنة النبوية، قد دلا دلالة صريحة بجميع وجوه الدلالة على علو الله تعالى بذاته فوق خلقه[2]، وقد وظف الشيخ العثيمين لإثبات هذه الصفة والرد على المنكرين الذين اعتقدوا فيها خلاف ما عليه سلفنا الصالح جملة أدلة؛ منها:

الأدلة النقلية من الكتاب والسنة:

لقد دلت نصوص الوحي ـ الكتاب السنة ـ دلالة واضحة لا تأويل فيها، على إثبات صفة العلو في حق الله تعالى بتعبيرات مختلفة:

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة: ١٤١٢هـ، ج ٣/ ١١٨٧، وانظر النبوات، لابن تيمية، نشر المكتبة السلفية، بالقاهرة، ١٣٨٦هـ، ص ٥١.

(٢) لمزيد من التفصيل، انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ العثيمين، المجلد الأول ـ فتاوى العقيدة، ص ص ١٢٦ـ١٣٠، وانظر رسائله: «إزالة الستار على الجواب المختار لهداية المحتار ـ مسائل متعددة في العقيدة، تمس الواقع»، أجاب عنها فضيلة الشيخ العثيمين (د.ت) ص ١١ـ١٥، وانظر شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، شرح الشيخ العثيمين ص ص ٣٨٦ـ ٤٠٠.

* التصريح بأن الله تعالى في السماء، كقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ (الملك: ١٦-١٧)، وقول النبي ﷺ في رقية المريض: «ربنا الله الذي في السماء، تقدّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتُك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حُوبَنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع؛ فيبرأ»، رواه أبو داوود وغيره[1].

* التصريح بفوقية الله تعالى على خلقه، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ (الأنعام: ١٨)، وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة ﷺ قال: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن النبي ﷺ قال: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي»[2] (رواه البخاري).

* التصريح بصعود الأشياء إليه، ونزولها منه، والصعود لا يكون إلا إلى أعلى، والنزول لا يكون إلا من أعلى، كقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ (فاطر: ١٠)، وقوله تعالى: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ (فصلت: ٤٢)، وكذلك قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»[3] (رواه البخاري في صحيحه).

* التصريح بوصفه تعالى بالعلو كما في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ (الأعلى:

(١) رواه أبو داوود ٣٨٩٢، وقال حديث حسن، و الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٢٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش العظيم»، رقم الحديث ٦٨٧٢.

(٣) رواه البخاري، باب «الدعاء في الصلاة في آخر الليل»، رقم الحديث ١٠٧٧.

١)، وقول النبي ﷺ في دعاء السجود؛ «سبحان ربي الأعلى»[١] (رواه ابن ماجة).

فهذه الأنواع من الأدلة الخبرية من كتاب الله وسنة نبيه تدل دلالة صريحة على علو الله بذاته فوق خلقه.

ودليل الإجماع: فقد أجمع سلفنا الصالح على القول بمقتضى النصوص السابقة، أي أن الله تعالى مستوٍ على عرشه فوق خلقه، يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ (الأنعام: ١٨). فليس في كلام الله ولا رسوله ولا كلام الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ما يدل لا نصاً ولا ظاهراً على أن الله تعالى ليس فوق العرش، وليس في السماء، بل كل كلامهم متفق على أن الله فوق كل شيء، كما يقول ابن تيمية»[٢].

أما **الدليل العقلي**: فيقال لا ريب أن العلو صفة كمال وأن ضده صفة نقص، والله تعالى أثبت لنفسه صفة الكمال، فوجب ثبوت العلو لله تعالى، ولا يلزم على إثباته له شيء من النقص، فإنا نقول ـ أي العثيمين ـ إن علوه تعالى ليس متضمنا لكون شيء من مخلوقاته محيطاً به، ومن ظن أن إثبات العلو له يستلزم ذلك فقد وهم في ظنه، وضل في عقله، فإذا كان السفل مستحيلاً في حقه سبحانه وتعالى؛ كان العلو واجبا.

وأما **الدليل الفطري** على علو الله تعالى بذاته: فإن كل داع لله تعالى دعاء عبادة، أو مسألة لا يتجه حين دعائه إلا إلى السماء، ولذلك تجده يرفع يديه إلى السماء بمقتضى فطرته، كما قال ذلك الهمداني لأبي المعالي الجويني: «ما قال عارف قط يارب، إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو»، وما يؤكد ذلك ما رواه أبو هريرة:

(١) رواه ابن ماجة، فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ركع أحدكم فليقل في ركوعه سبحان ربي العظيم ثلاثا، فإذا فعل ذلك فقد تم ركوعه، وإذا سجد أحدكم فليقل في سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاثا فإذا فعل ذلك فقد تم سجوده وذلك أدناه»، باب «التسبيح في الركوع والسجود»، رقم الحديث ٨٨٠.

(٢) هذا القول أورده العثيمين في سياق كلامه عن العلو، انظر شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، شرحه الشيخ العثيمين، ج١/ ١٧٩.

«أن النبي ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»[1] (رواه مسلم).

إن ما أثبته الشيخ ابن العثيمين ~ في صفة العلو في حق الله تعالى بهاته الأدلة السابقة هو الثابت عند مذهب سلفنا الصالح؛ إذ إنهم يعتقدون أن الله تعالى عالٍ بذاته، وأن علوه من الصفات الذاتية الأزلية الأبدية»[2]، ومن ثمة فقد تطابقت هذه الأدلة وتكاملت في إثبات صفة العلو في حق الله •.

(١) رواه مسلم؛ كتاب « الزكاة»، باب « قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها»، رقم الحديث ١٦٨٦.
(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، شرحه الشيخ العثيمين، ج١/ ١٧٥.

المطلب الرابع
أساس التثبت من صحة الأحاديث في إثبات العقيدة

إن صحة فهم نصوص الشريعة الإسلامية تعد ركيزة رئيسية لصحة الاستدلال، ولا يستطيع المرء أن «يعرف مراد الله • ومراد رسوله الكريم، إلا حينما يستقيم فهمه لدلائل الكتاب والسنة»[1]، فتبقى العقيدة بذلك صافية نقية في الأذهان مؤثرة في توجيه السلوك والأعمال.

ومن ثمة فحجية الحديث على مسائل العقيدة أمر يحتاج إلى كثير من التدقيق والتثبت، لأن إثبات العقيدة الصافية النقية أمر في غاية الخطورة ـ لأن الأمر يتعلق بكلام الله ورسوله ـ وهو ما يتطلب معه الاقتصار على ما صح عن رسول الله ﷺ من الأحاديث سواء المتواترة منها أو الآحاد، وقد كان هذا ديدن السلف الصالح في الاعتماد على الأحاديث الصحيحة، ورد الضعيفة والموضوعة منها، لذلك فقد أوجبوا التحقق من الأحاديث قبل الاحتجاج بها؛ حتى لا يُنسب إلى دين الله ما ليس منه. وحرص جهابذة علماء الأمة على التثبت في الرواية وقبولها، بل تشددوا في شروط الراوي، ولهذا كان علماء المسلمين وعلماء الرواية لا يقبلون الرواية إلا ممن توفرت فيه شروط العدالة والضبط والإتقان، فهم لا يقبلون الرواية من المجروح أو المجهول الحال، وهذا من باب التثبت في أخبار الرسول ﷺ. فالواجب إذن أن نتثبت من صحة الخبر المنقول عن رسول الله الذي يثبت أموراً اعتقادية، قد يبني عليها المسلم كل حركاته وسكناته.

ومن هذا المنطلق فقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على الاحتجاج بصحيح المنقول،

(١) منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، للصُويَان، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، (د.ت)، ص ٤٨، بتصرف.

ولا يشترطون في الاحتجاج بالسنة إلا الصحة، فمتى كانت كذلك يجب الاحتجاج بها في مسائل الاعتقاد، ولا فرق في ذلك بين الأحاديث المتواترة، وأحاديث الآحاد، ومن أقوالهم في ذلك:

١ـ ما ثبت عن محمد بن الحسن أنه قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق والمغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله في صفة الرب، من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه..»[١].

٢ـ وقد ذكر الإمام ابن عبد البر في «التمهيد» على أن الإجماع حاصل في قبول الخبر الواحد في العقائد[٢].

٣ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ~ ، «مذهب أصحابنا الحنابلة، أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات»[٣]، هذه وغيرها من الأقوال التي أجمعت على عدم التفريق بين الأحاديث في إثبات المسائل الاعتقادية، وأن الأمر مقتصر على صحة ما نسب لرسول الله ﷺ.

إن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به وتصديقاً له ـ يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، ولم يكن بين الأمة في ذلك نزاع[٤]. فكانوا يحتجون بكل ما جاء به الرسول ﷺ، ولم يفرقوا في الاحتجاج بين المتواترة والآحاد من الأحاديث، فيعتقدون أن ما صح من سنة رسول الله ﷺ، وجب قبوله، وإن كان آحاداً»[٥]،

(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، (ج٢/ ٤٣٢ـ٤٣٣)، وذكره ابن تيمية في «نقض المنطق»، ص٤.

(٢) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر، ج ٧/ ١٤٥ـ١٥٨ بتصرف، وانظر قول الإمام أبي المظفر السمعاني في هذا الباب، أورده الإمام السيوطي في كتابه «صون المنطق»، ص ١٦٠.

(٣) المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية، ص ٢٤٥. وانظر «لوامع الأنوار البهية»، للسفاريني ج ١/ ١٩.

(٤) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر (المرجع السابق)، ص ٣٠٢.

(٥) انظر: «مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة» للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، ص ٧.

فالقول بأن أخبار الآحاد لا تفيد العلم واليقين، ومن ثَم فلا يُحتَجُّ بها في العقيدة، بدعةٌ أحدثتْها المعتزلةُ، وقد تلقَّفها بعض جهابذة علماء أهل السنة فأجمعوا على عدم التفريق في أخبار الآحاد بين الأحكام والعقائد.

وعلى هذا المنهج سار الشيخ العثيمين ~ في رده على من ادعى أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها العقيدة، وأنها تفيد الظن، والظن لا تبنى عليه العقيدة، يقول بأن هذا الكلام غير صائب من عدة وجوه[1]:

• القول بأن حديث الآحاد لا يفيد إلا الظن ليس على إطلاقه، بل في أخبار الآحاد ما يفيد اليقين، إذا دلت القرائن على صدقه، كما إذا تلقته الأمة بالقبول مثل: حديث عمر بن الخطاب «إنما الأعمال بالنيات».

• أن النبي ﷺ يرسل الآحاد بأصول العقيدة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإرساله حجة مُلزِمة، كما بعث معاذاً إلى اليمن، واعتبر حجة ملزمة لأهل اليمن بقبوله.

• إذا قلنا بأن العقيدة لا تثبت بأخبار الآحاد أمكن أن يقال: والأحكام العملية لا تثبت بأخبار الآحاد، لأن الأحكام العملية يصاحبها عقيدة أن الله تعالى أمر بهذا ونهى عن هذا، وإذا قبل هذا القول تعطل كثير من أحكام الشريعة، وإذا رد هذا القول فَليُرَد القول بأن العقيدة لا تثبت بخبر الآحاد.

• أن الله تعالى أمر بالرجوع إلى قول أهل العلم لمن كان جاهلاً فيما هو من أعظم مسائل العقيدة، وهي الرسالة. فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ (النحل: ٤٣ - ٤٤).

والحاصل كما يقول ابن العثيمين أن خبر الآحاد إذا دلت القرائن على صدقه

(١) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المجلد الأول، فتاوى العقيدة، ص ٣١ـ٣٢.

أفاد العلم وثبتت به الأحكام العملية والعلمية، ولا دليل على التفريق بينهما، ومن نسب إلى أحد من الأئمة التفريق بينهما، فعليه إثبات ذلك بالسند الصحيح عنه، ثم بيان دليله المستند إليه[1].

(١) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المجلد الأول (المرجع السابق) ص ٣٢.

المبحث الثاني

الأسس والمنطلقات المنهجية في دراسة العقيدة وحمايتها من الانحراف

إن الفصل بين الأسس المنهجية الاستدلالية، اقتضته الضرورة المنهجية نفسها، وإلا فليس ثمة فصل؛ وإنما هناك وصل وتكامل بين هذه المناهج، فلا يمكن أن نستدل على أمر في العقيدة دون استدعاء النصوص القرآنية والحديثية، وإعمال العقل فيها انقياداً للشرع وتصديقاً لما جاء في الأدلة السمعية ـ النقلية، وهذا التوظيف لهذين المنهجين داخل في أبجدية المنهج العلمي الرصين؛ أي اتباع خطوات منهجية علمية في دراسة الظاهرة أو القضية العقدية. لذلك حسبنا في بيان الأسس المنهجية التي وظفها الشيخ العثيمين في دراسة العقيدة الوقوف على المنهج الاستدلالي بصحيح المنقول، والاستدلال بصريح المعقول، لما لهما من مركزية في فصل المقال:

المطلب الأول

الأســاس المنهجــي النقلــي

إن المرجع الأساسي الذي عليه الاعتماد في فهم وإثبات المسائل الاعتقادية، والذي ينبغي على العقل المعاصر ـ استحضاره في عملية الاستدلال؛ هو نصوص الوحي المبينة ـ كتاباً وسنَّة ـ وكذا أفهام السلف الصالح لها، ومن سار على نهجهم من أئمة الهدى، كما يقول د. ناصر عبدالكريم العقل، أن منبع ومصدر العقيدة هو كتاب الله وسنة رسوله الكريم الصحيحة، وإجماع السلف الصالح»[1]، إذ إن الخوض في الأمور العقدية المصيرية التي قد يتأسس عليها مآل الإنسان الدنيوي والأخروي، يستدعي اعتماد أساس منهجي قويم تستقى منه العقائد والعبادات

(١) انظر: «مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة» د.ناصر بن عبد الكريم العقل، ص ٧، بتصرف.

والأحكام، يقول الإمام الشاطبي في «الاعتصام»: أن إجماع السلف الصالح حول المعتقدات؛ مصدرٌ مبناه على الكتاب والسنة[1]، وقد كان الاستدلال النقلي أول الأساليب التي استعملت في الفكر الكلامي حيث يتخذ من نصوص القرآن والحديث شواهد على الآراء العقدية في الحوار الدائر بين الفرق الإسلامية، تأصيلاً لهذه الآراء في أصول الوحي بطريقة التأويل، أو رداً للشواهد المخالفة لها بطريق النقد لما هو ضعيف منها أو منحول»[2]، وعلى هذا المنهج والاعتقاد استرشد الشيخ ابن العثيمين ~ في إثبات العقيدة الصحيحة ومحاربة كل البدع والأقوال التي تروم التشويش على العقل المسلم وتحييده من السبيل المستقيم إلى سبل، فتتفرق به إلى الزيغ والضلال. إذ شَكَّل المنهج النقلي الأول الأسس التي اعتمدها الشيخ في تأصيله ومناقشته للقضايا العقدية التي هي مدار النقاش بين أهل السنة والفرق الضالة المبتدعة؛ إنكاراً وإثباتاً، وحسبنا ها هنا أن نقتصر على رصد نموذج يوضح بجلاء استدعاءه ـ رحمة الله عليه ـ للمنهج الاستدلالي النقلي في إثبات الأسماء والصفات في حق الله تعالى.

إن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية ـ بنص الشرع، ولا يصح أن يطلق على الله اسم أو وصف لم يرد في الكتاب والسنة، كما يقول ابن تيمية[3]، فأسماؤه تعالى لا تثبت بالعقل، وإنما تثبت بالشرع، وهذا ما أكده الشيخ ابن العثيمين حين قال: «أنه يجب الوقوف في الأسماء والصفات على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزداد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حق الله تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، كما يقول الحق

(١) انظر: الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، ٢ / ٢٥٢، طبعة دار المعرفة، ١٤٠٢هـ، بيروت، لبنان، (د.ت).

(٢) عبد المجيد عمر النجار، «فقه التدين، فهما وتنزيلا»، ص ١٤٦.

(٣) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١٥.

سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦)[1].

إن عقيدة سلفنا الصالح في توحيد الأسماء والصفات هي الإيمان بكل ما جاء في القرآن والسنة من آيات الصفات والتسليم لما جاء عن الله تعالى، ولما جاء عن نبيه ﷺ، فما أثبه الله لنفسه يَثبت، وما نفاه الله ورسوله يُنفى، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تمثيل[2]، وقد مَنَّ الله على هذه الأمة بعلماء جهابذة وقفوا سداً منيعاً ضد كل تلكم التأويلات والتفسيرات بالنقض والرد، وقد كان الشيخ ابن العثيمين

(١) انظر شرح ابن العثيمين على « لمعة الاعتقاد، الهادي إلى سبيل الرشاد» لابن قدامة المقدسي، ص ٢٣، وانظر شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تأليف محمد بن صالح العثيمين، خرج أحاديثه وعلق عليه: أسامة عبدالعزيز، دار التيسير للنشر والتوزيع، مصر العربية، (د.ت)، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٥٩.

وقد استدل العثيمين على إثبات مسألة الاقتصار على ما جاء به الكتاب والسنة من أسماء الله تعالى، وذلك لثلاث علل:

* لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، وهذا صحيح فنحن لا ندرك ما يجب لله تعالى من الأسماء، ولهذا قال ﷺ: «سبحانك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك». أخرجه مسلم، رقم الحديث ٤٨٦.

* قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد، كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾(الإسراء/ ٣٦) ﴿ولا تقف﴾، أي: لا تتبع، وقد قيل: «قفاه يقفوه»، إذا جاء على أثره أو على أثره، فلا يجوز لنا أن نسمي الله بما لم يسم به نفسه، لأن ذلك ليس مما به علم.

* ولأن تسمية الله بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، أرأيت لو أن شخصاً سماك بغير ما سُميت به، فإنه يعتبر جانياً عليك، لأنه ليس له حق في ذلك، فالتسمية حق لمن له الحق في أن يسمي، فالله عز وجل له الحق أن يسمي نفسه بما يشاء، وأما نحن فليس من حقنا أن نسمي الله بما لم يسم به نفسه، لأن ذلك جناية في حق تعالى، فالله تعالى قد سمى بأسماء، وليس من حقنا أن نقول: لن نسميه بها، وعلى ذلك، فالواجب علينا أن نسمي الله بما سمى به نفسه، وكذلك ما سمى به نفسه سوء أدب مع الله، وكذلك إنكار ما سمى به نفسه سوء أدب معه تعالى فالواجب علينا سلوك الأدب مع الله.[انظر «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى»، العثيمين ص ٦٠ـ٦١].

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (المرجع السابق)، المجلد الأولـ فتاوى العقيدة، ص ١٢، وانظر شرح ابن العثيمين على « لمعة الاعتقاد، الهادي إلى سبيل الرشاد» لابن قدامة المقدسي، ص ٣٨، و عقيدة السلف، للإمام الصابوني، ص ١١.

واحداً منهم؛ فقد رد على الفرق الضالة ما ألصقته في حق الله تعالى من أسماء ناقصة كاسم «الدهر»، يقول ~ : إن الدهر ليس من أسماء الله تعالى، لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، ولأنه اسم للوقت والزمن، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ (الجاثية: ٢٤)، يريدون مرور الليالي والأيام. فأما قول النبي: «قال الله • : «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»[(١)]، فهو قول لا يدل على أن الدهر من أسماء الله تعالى، وذلك أن الذين يسبون الدهر إنما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث، لا يريدون الله تعالى، فيكون معنى قوله: «وأنا الدهر» ما فسره بقوله: «بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»، فهو سبحانه وتعالى خالق الدهر وما فيه، وقد بين أنه يقلب الليل والنهار، وهما الدهر، وبهذا يتبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مراداً به الله تعالى[(٢)].

ومن المسائل العقدية التي كانت محل نقاش وجدال بين أهل السنة وأهل البدع، مسألة «رؤية الله»، وقد أثبتوا ذلك انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢ – ٢٣)، وقوله: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (الإنسان: ١١)، يقول الشيخ العثيمين في تفسيره لهذه الآية؛ أن هذه الوجوه الناضرة الحسنة تنظر إلى ربها • ، فتزداد حسناً إلى حسنها»[(٣)]، وأما الأحاديث الصحاح المتواترة الدالة على الرؤية؛ ما روي عن النبي ﷺ، في

(١) أخرجه البخاري رقم الحديث ٧٤٩١، ومسلم رقمه ٢٢٤٦، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الخطابي معناه: «أنا صاحب الدهر، ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر. فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر هو زمان جعل ظرفا لمواقع الأمور، وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر، فقالوا بؤسا للدهر وتبا للدهر» [فتح الباري ٨/ ٤٣٨].

(٢) انظر شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للشيخ العثيمين، (المرجع السابق)، ص ٣٧.

(٣) انظر شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرحه سماحة الشيخ محمد صالح العثيمين، (المرجع السابق)، ج١/ ٤٤٨.

الصحاح والمسانيد والسنن فمنها: حديث أبي هريرة: أن أناساً قالوا: يا رسول هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله: هل تُضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول، قال: هل تُضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال فإنكم ترونه كذلك»[1]، رواه البخاري، وحديث جرير بن عبدالله البجلي، قال: «كنا جلوساً مع النبي ﷺ: فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: «إنكم سَتَرون ربكم عِيَاناً، كما تَرون هذا، لا تُضاهون في رؤيته»[2] (رواه البخاري).

إن أعظم نعيم يناله المومنون في الجنة هو رؤية الله • بأبصارهم، وهذا الأمر ثابت بالكتاب والسنة النبوية المتواترة، وقد اتفق على القول بها جميع الصحابة والتابعين، وجميع أئمة الإسلام المعروفين بالإمامة والدين، وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى أهل السنة والجماعة، كما يقول ابن تيمية[3].

وقد أقر ابن العثيمين هذه المسألة واستدل على إثباتها بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة، وأنكر على أهل البدع النفاة للرؤية، وأبطل حججهم، ودحض شبههم، وتأويلاتهم المختلفة، فقد رد على من يزعم أن الله لا يرى بالعين، وأن الرؤية عبارة عن كمال اليقين، أن هذا القول باطل فمخالف للأدلة ويكذبه الواقع، لأن كمال اليقين موجود في الدنيا أيضاً، كما جاء في حديث جبريل في تفسير الإحسان؛ قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»[4]. ومما ذكره الشيخ من الأدلة على إثبات الرؤية قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢ - ٢٣)، فهذه الآية صريحة الدلالة على

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم الحديث ٦٠٨٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، رقم الحديث ٦٨٨٣.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٢/ ٣٣٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب «الإيمان»، باب «بيان الإيمان والإسلام والإحسان»، رقم الحديث ١٠.

رؤية المومنين ربهم في الجنة، فهي لا تقبل التأويل والتحريف كما ذهب إلى ذلك بعض الفرق الكلامية، يقول ابن العثيمين؛ ففي الآية دليل على أن الله سبحانه وتعالى يُرى بالعين، ولكن رؤيتنا لله • ، لا تقتضي الإحاطة به؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ (طه: ١١٠)، فإذا كنا غير قادرين على أن نحيط به إحاطة بَصرية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ (الأنعام: ١٠٣)، فالأبصار وإن رأته لا يمكن أن تدركه، فالله • يُرى بالعين رؤية حقيقية، ولكنه لا يدرك بهذه الرؤية، لأنه • أعظم من أن يحاط به، وهذا هو الذي ذهب إليه السلف، ويرون أن أكمل نعيم ينعم به الإنسان أن ينظر إلى وجه الله تعالى، ولهذا كان دعاء النبي ﷺ، «أسألك لذة النظر إلى وجهك»[1].

هذه وغيرها من القضايا العقدية التي ناقشها العثيمين، ورد على منكريها من الفرق الضالة بالدليل والبرهان، فأثبت لله ما أثبته لنفسه ونفى عنه سبحانه وتعالى ما نفاه عن نفسه، وقد كان منهجه في ذلك، كما يتبين لنا من خلال هذه الإشارات مع النماذج السابقة؛ التزامه بمنهج السلف الصالح سواء في النفي أو الإثبات.

(١) راجع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المجلد الأول، فتاوى العقيدة، ص ٢٢٣.

المطلب الثاني
الأساس المنهجي العقلي الاستدلالي

إن اعتماد المنهج العقلي الاستدلالي والبرهاني في تثبيت الأمور الاعتقادية في نفوس الناس وحمايتها من الانحراف يعد مطلباً شرعياً، وضرورة علمية، تقتضيها قوانين وسنن هذا الكون، فالمتبصر والمتأمل لآي القرآن تستوقفه الإشارات القوية التي تدعو العقل المسلم إلى النظر والتفكر والسير في هذا الكون، من أجل تعميق الصلة بخالقه، والارتباط به سبحانه وتعالى أشد الارتباط، فالإنسان مجبول على الاقتناع بالأدلة الملموسة الواضحة؛ والنظر والسير في الأرض مدخل من مداخل تحقيق قناعة وحقّانية الله بالعبادة وحده لاشريك له.

وقد اعتمد القرآن الكريم طريقة برهانية عقلية[1] في الاستدلال على أمهات مسائل العقيدة ـ ووحدانية الله واحدة منها؛ وذلك حين وجه العقل المسلم إلى النظر واستعمال المدارك العقلية حتى يستوعب الخطاب الإلهي ويعي الحقائق الكونية والوجودية لعظمة الخالق وقدرته الإبداعية، من أرض وسماء، وسحاب وهواء، وحيوان وإنسان...، كما يقول الحق سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: ١٧ - ٢٠)، وقوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ آل عمران: ١٩١)، وقوله تعالى: ﴿وَفِي

(١) للتفصيل في هذا الأمر، يرجى الرجوع إلى كتاب «مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي»، للسيد رزق الحجر، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، السنة الثالثة والعشرون، العدد (٢٢٣)، العام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ١٢٤، والعقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، في سلسلة طريق الإسلام (١)، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (طبعة منقحة ومزيدة)، ص ٣٦.

﴿ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢٠ - ٢١)، وغيرها من الآيات الحبلى بهذه المعاني العميقة في الاستدلال على وجود الله بما أبدعه. فلو تدبر الإنسان هذه المخلوقات وعرف كيف مبناها، يجد فيها من «عجائب صنع الله وبدائع حكمته، ما يضطر معه إلى الاعتراف بقادر حكيم، ومدبر عليم[1]، ومن ثمة فمطلب النظر واستدعاء الآيات الكونية فيه مدخل يقيني للنفس البشرية حتى تصدق بعظمة هذا الخالق الباري المبدع. وتعمق الإيمان واليقين ببارئها. وهذا ما أشار إليه ابن أبي العز الحنفي حين قال: أن «المقاييس العقلية مفيدة للمطالب الدينية»[2].

وقد كان سلفنا الصالح يحتجون بصريح المعقول الموافق لصحيح المنقول،كما يحتجون بصحيح المنقول في مسائل الاعتقاد، على اعتبارهما حجة الله تعالى على خلقه، يقول ابن تيمية: «الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها، وهدى الناس إليها، وبَيَّنها وأرشد إليها»[3]، وعلى هذا المنهج سار الشيخ العثيمين في إثبات المسائل الاعتقادية، حين استدعى دلائل الآفاق والأنفس في الرد على المخالفين الذين أنكروا بعض الأمور العقدية.

وحسبنا في هذا المقام التوقف عند مسألة من تلكم المسائل التي ناقشها الشيخ العثيمين، مُبيِّنين حضور المنهج الاستدلالي البرهاني في عرضه لهذه القضية، ومدى استيعابه لمنهج السلف على إثبات وحدانية الله تعالى.

إن وجود الله تعالى حقيقة ثابتة مستقرة في النفوس، مؤيدة بعجائب المخلوقات،

(١) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، الدكتور عبدالله نومسوك، مكتبة دار القلم والكتاب (د.ت) ص ١٧٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، (د.ت)، ص ٢٥.

(٣) انظر « النبوات» ابن تيمية، ص ٧١ وما بعدها.

وبديع المصنوعات، وعظيم الآيات، كما يقول ابن تيمية[1]، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ (لقمان: ٢٥)، من هنا أثبت العثيمين ـ رحمة الله عليه ـ وجود خالق واحد لهذا الكون، في سياق رده على الفِرَق الضَّالة المنكرة لتوحيد الربوبية في حقه سبحانه وتعالى على سبيل التشريك ـ كما هو حال المجوس، حين قالوا: بأن للعالم خالقين هما الظلمة والنور، ومع ذلك لم يجعلوا هذين الخالقين متساويين، فهم يقولون: إن النور خير من الظلمة؛ لأنه يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر، والذي يخلق الخير خير من الذي يخلق الشر، وهذا غير صحيح بالدليل والبرهان، وإنما أفعال الله كلها من خلقه سبحانه وتعالى؛ وقد أشار إلى بعض من هذا، الإمام أبي حامد الغزالي في سياق حديثه عن وحدانية الأفعال على اعتبار أن أفعال الله تعالى كلها خيرها وشرها، مبدعها وخالقها وفاعلها؛ هو الله وحده لا شريك له، فهو المتفرد بالخلق والإبداع، المستقل بالإيجاد لا رب غيره، ولا وجود سواه. ثم أن هذا الكون يدل على أنه يسير وفق نظام عام متكامل، وهذا يدل على أن المنظم واحد[2]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

وقد أورد الشيخ العثيمين أدلة عقلية تؤكد أن للعالم إلهاً واحداً، منطلقاً من قول الله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (المؤمنون: ٩١)، ويقول في تفسيره لهذه الآية، أنه لو أثبتنا أن للعالم خالقين؛ لكان كل خالق يريد أن ينفرد بما خلق ويستقل به كعادة الملوك؛ إذ لا يرضى أن يشاركه أحد، وإذا استقل به؛ فإنه يريد أيضاً أمراً آخر، وهو أن يكون السلطان

(١) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١٤.

(٢) انظر الاقتصاد في الاعتقاد، لحجة الإسلام الإمام محمد بن أبي حامد الغزالي، شرح وتحقيق وتعليق: الدكتورة إنصاف رمضان، دار قُتيبة للنشر والتوزيع ـ دمشق/ سوريا، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٦٢ـ٦٣.

له، فلا يشاركه فيه أحد، وحينئذ إذا أرادا السلطان؛ فإما أن يعجز كل واحد منهما عن الآخر، أو يُسيطر أحدهما على الآخر؛ فإن سَيطَر أحدهما على الآخر، ثَبتَت الربوبية له، وإن عجز كل منهما عن الآخر زالت الربوبية منهما جميعاً؛ لأن العاجز لا يصلح أن يكون ربّاً[1]. ومن ثمة فوجود «ند أو شريك أو شبيه لله تعالى مساوٍ له في الحقيقة والصفات أمر مستحيل، لأنه إذا ارتفع كل فرق واختلاف، ارتفع العدد بالضرورة، ولزمت الوحدة»[2]. ويضيف العثيمين في موضع آخر مستنكراً على من أنكر وجود الله: هل وجود هذه الكائنات في الكون بنفسها، أم وجدت هكذا صدفة؟ فيجيب قائلاً: فإن قُلتَ وُجِدت بنفسها، فمستحيل عقلاً، ما دامت هي معدومة؛ كيف تكون موجودة وهي معدومة؟ المعدوم ليس بشيء حتى يوجد إذاً، لا يمكن أن تُوجِدَ نَفْسَها بِنَفسِها، وإن قُلتَ: وُجدت صُدفة؛ فنقول: هذا يستحيل أيضاً؛ فأنت أيها الجاحد، هل ما أُنتِج من الطائرات والصواريخ والسيارات والآلات بأنواعها؛ هل وُجِد هذا صدفة؟ فيقول: لا يمكن أن يكون. فكذلك هذه الأطيار والجبال والشمس والقمر والنجوم والشجر والحجر والرمال والبحار وغير ذلك، لا يمكن أن توجد صدفة أبداً.

ويستشهد ~ لإثبات هذا الأمر بما وقع بين أبي حنيفة وطائفة من السُّمنية جاؤوا إليه ـ وهم من أهل الهند ـ ليناظروه في إثبات الخالق •، فوعدهم أن يأتوا بعد يوم أو يومين، فجاؤوا؛ قالوا: ماذا قلت؟ قال: أنا أفكر في سفينة مملوءة من البضائع والأرزاق، جاءت تشق عباب الماء، حتى أرست في الميناء، ونزلت الحمولة وذهبت، وليس فيها قائد ولا حمَّالون، قالوا: تُفكر بهذا؟ قال: نعم. قالوا إذاً ليس لك عقل، هل يُعقل أن سفينة تأتي بدون قائد وتنزل وتنصرف. هذا ليس

(١) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، شرح فضيلة الشيخ ابن العثيمين، (المرجع السابق) ج ١/ ٨ـ٩

(٢) انظر الاقتصاد في الاعتقاد، لحجة الإسلام الإمام محمد بن أبي حامد الغزالي، (المرجع السابق)، ص٦٠.

معقولاً، قال: كيف لا تعقلون هذا، وتعقلون أن هذه السماوات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والناس كلها بدون صانع؟ فعرفوا أن الرجل خاطبهم بعقولهم، وعجزوا عن جوابه هذا أو معناه[1]. فهذا يدل حقيقة على كون العقل دالاً دلالة قطعية على وجود الله، وأن لهذا الكون رباً ومدبراً واحداً بيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

فقد كانت هذه بعض من الأدلة العقلية التي وظفها الشيخ العثيمين ~ في إثبات وحدانية الله تعالى، تُظهر منزلة البرهان العقلي والأدلة العلمية اليقينية في إقناع المُنكِر، والتي قد يطمئن لها ويعترف بمضمونها، إن أحسن المُناظِر توظيفها.

(١) راجع شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ محمد صالح العثيمين، (المرجع السابق)، ج١/ ٥٦ـ٥٧.

خلاصات وتوصيات

لقد سعى هذا العمل، والمحاولة المتواضعة في دراستنا لمنهج الشيخ العثيمين ~ ؛ الوقوف على حقيقة مذهب أهل السنة والجماعة وقناعاتهم في المسائل الاعتقادية، وكذا إبراز الأسس والمنطلقات العلمية والمنهجية التي اعتمدها الشيخ العثيمين في الرد على الفرق المبتدعة والضالة، ونخلص في خاتمة هذه الدراسة إلى جملة من الخلاصات والاستنتاجات، **نجملها في ما يلي:**

• أن حاجة العباد إلى علم العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم، ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له، وما ينزه عنه سبحانه.

• أن العقيدة هي أساس هذا الدين، وكل ما يبنى على غير أساس فمآله الهدم والانهيار، ولهذا اهتم رسول الله، بإرسائها وترسيخها في ثلاثة عشر عاماً من أجل بناء الرجال على قاعدة صلبة وأساس متين.

• العقيدة السلفية: هي العقيدة الصحيحة التي وافقت الكتاب والسنة، كمنبع صافي لا تشوبه شائبة التأويل والتعطيل أو التشبيه والتمثيل، وهي الجديرة بأن تَجمع المسلمين وتعصمهم من التفرق في الدين.

• أن خلاصة مذهب السلف في أسماء وصفات الله؛ إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل على ضوء الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

• أن المنهج الصحيح في فهم العقيدة الإسلامية هو منهج أهل السنة والجماعة الذي سار عليه السلف الصالح، وأوصوا به من بعدهم، والذي تميز بالوضوح،

والبعد عن صور التأويل، والتشبيه، والتعطيل والتشويه، وهذا المنهج هو الذي يجب أن يسير عليه الإنسان ويعمل بمقتضاه في كل زمان ومكان، إن أراد سبيل النجاة والفلاح.

• موافقة الشيخ العثيمين للسلف الصالح في اعتماد المنهج الاستدلالي النقلي العقلي في إثبات أسماء الله و صفاته، التي تليق به سبحانه، وفي غيرها من القضايا التي كانت محل نقاش بين أهل السنة، وأهل البدعة.

• أن منهج الشيخ العثيمين تميز بجملة من السمات والخصائص تجلت في التزامه، رحمة الله عليه، بالوسطية والاعتدال؛ على اعتبار أن الوسط بين الإفراط والتفريط، يعد مدخلاً مهماً من مداخل تصحيح كل المسائل الاعتقادية التي كان فيها الجدال، وكذا تركيزه على الواقع كمصدر من مصادر الفهم والتعرف على المشكلات العقدية المعاصرة، ثم البراءة من وجوه الانحراف والبدع التي سقطت فيها بعض الفرق الضالة.

• إن تصحيح عقيدة سلفنا الصالح في المجتمع المسلم وحمايتها من الانحراف، لن يتم بالشكل المطلوب، ما لم يتم تنزيل نصوص الوحي العقدية، تنزيلاً سليماً يراعي الواقعية في المعالجة والتطبيق، وهذه سمة مميزة لمنهج العثيمين.

• تميز منهج الشيخ في تحقيق بُغيَتِه ـ الدفاع عن العقيدة ـ بالاستمداد من منطلقات ومناهج سلفنا الصالح في تثبيت مختلف القضايا العقدية التي عرفت جدالاً بين أصحاب الملل والنحل على تعدد مشاربهم واعتقاداتهم.

• استدلال الشيخ على المسائل العقدية بالخبر المتواتر، وكذا بخبر الآحاد إذا دلت القرائن على صدقه.

• تقيد الشيخ العثيمين بمذهب أهل السنة والجماعة، في التعريف بمفهوم «التوحيد»، والتركيز على باب الأسماء والصفات لما شابها من انحراف.

• أن أسباب الانحراف عن العقيدة الصحيحة اليوم **كامنة في:**

١. الجهل بالعقيدة الصحيحة؛ بسبب الإعراض عن تعلمها وتعليمها.

٢. التّعصُّبُ لما عليه الآباء والأجداد، والتمسك به وإن كان باطلًا، وترك ما خالفه وإن كان حقًّا.

٣. التقليدُ الأعمى بأخذ أقوال الناس في العقيدة من غير معرفة دليلها، و معرفة مدى صحتها.

٤. الغُلُو في الأولياء والصالحين، ورفعهم فوق منزلتهم؛ واتخاذهم وسائط بين الله في قضاء الحوائج.

٥. الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية.

ولتمكين الأجيال الصاعدة من التشبث بمنهج سلفها الصالح، وما كانوا عليه في سائر مناشط حياتهم، وتعميق الصلة بالمنهج الوسط، وتجنب الانحراف العقدي الحاصل اليوم بين أبناء الأمة الإسلامية **نوصي بـ:**

* العمل على إغناء وإثراء عقيدة السلف دراسة وتطبيقاً، كبحوث أكاديمية.

* العمل على تفريغ الأشرطة والفتاوى لعلمائنا الأجلاء الذين عرفوا بمنهجهم الوسط، وجمعها في مؤلفات.

* الاعتراف بفضل الثلة الطيبة من العلماء الذين أسهموا في ترسيخ العقيدة، وندعوا لهم، ونقوم بما يجب لهم، ونشر علمهم حتى تستفيد منه الأمة الإسلامية.

* إعادة صياغة السلفية وتنقيتها من الشعارات الزائفة والمظاهر الكاذبة التي علقت بها، وتبيان حقيقتها كاتجاه عقدي، لما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام البررة.

* تشجيع الاتجاه السلفي والعناية به، وبرمجته كمقررات تدرس بكليات وجامعات البلدان الإسلامية، وكسلوك وتطبيق في شتى مناشط الحياة، فبقدر الاستمساك بكتاب الله وسنة رسوله بقدر ما يكون البعد عن الانحراف والضلال.

* الرجوع إلى كتاب الله عزَّ وجلَّ، وإلى سنة رسوله الكريم، لتلقِّي الاعتقاد الصحيح منهما، كما كان على ذلك سلفنا الصالح، مع الاطلاع على عقائد الفرق المنحرفة، ومعرفة شُبههم للرد عليها والتحذير منها.

* قيام الدعاة المصلحين، وأهل العلم بدعوة الناس إلى العقيدة السلفية، ورد ضلالات المنحرفين عنها.

وفي ختام هذه الوقفة العابرة مع منهج فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم، أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يرزقنا إتباع كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ، اتباعاً سليماً نقياً خالياً من كل البدع والشوائب، كما كان عليه سلف هذه الأمة، وأن يجنبنا الزلل ومزالق الأهواء، وأن يغفر لي ولولدي ولأساتذتي ومشايخي، وكل الإخوة الأفاضل القائمين على تنظيم هذه الندوة الطيبة المباركة، وكل السادة الأساتذة الباحثين، وجميع المسلمين والمسلمات، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.